« أعلم شيئاً واحداً »

(٩: ٦-٤١)

تأليف: بروس مكلارتي

أحياناً يمكن تعرقل « الصلاة المستجابة » حياتنا.الشيء الذي نقتنع بانه يجعل حياتنا أفضل قد يجعلها أكثر صعوبة. مثال على ذلك هو الذين يفوزون باليانصيب (لوتري). قبل عدة سنوات أصدرت « مجلة النيويورك تايمز صاندي » (New York Times Sunday Magazine) مقالة عن الذين يفوزون باللوتري، وكيف ان هذا الفوز غيَّر حياتهم. وجدوا بان الناس يعتبرون الفوز باللوتري بركة غير نقية. فقد اشتر الفائزون بيوتا رائعة وسيارات فارهة، ولكنه أيضاً جلب لهم مشاكل غير متوقعة ولا تعد ولا تحصى.

معظم الذين فازوا باللوتري غيروا أرقام هواتفهم في النزل، ولم تعد مسجلة بدليل الهاتف لمنع تلقي مكالمات اقاربهم الذين لم يسمعوا منهم منذ وقت طويل، والذين بالطبع يحتاجون إلى المال، او من مستشارين ماليين لهم استراتيجيات استثمار « مثالية » لذوي الحظ السعيد، واخرون كثيرون. كان شخص يدعى دونالد بلاكلي، وهو مهندس كهربائي، فاز بـ ٤,٢ مليون دولار في سنة ١٩٨٢م. رغم انه تمتع بالغنى، إلا انه حزن بسبب الطريقة التي قلب بها المال حياته. صديقاً ما كان مديون لبلاكلي بـ ٢,٠٠٠ دولار استاء منه عندما طلب منه بلاكلي ان يدفع الدين. قال الصديق: « لماذا يريد شخص يملك ٤,٢ مليون دولار مبلغاً سخيفا مثل هذا؟ » قال بلاكلي: « اني أشعر بعدم الرضى بسبب ضياع مثل هذا المبلغ، ولكني أشعر بأسى شديدا عند فقدان صديق ».

واستمر ليقول بان زملاءه في العمل كانوا فرحين أول الأمر بفوزه. ولكن بعد حوالي ستة شهور، تحول فرحهم إلى غيرة وحسد، مما اضطر بلاكلي اخيرا ترك العمل. أحياناً قد تعرقل الصلاة المستجابة الحياة.

اليوم الذي التقى فيه يسوع بالإنسان الذي وُلِدَ أعمى كان من أروع الأيام في حياة ذلك الإنسان، يتمنى كل إنسان أعمى ان يبصر. وبلا شك ان هذا الإنسان كان يحلم دائما بالاشياء التي سيقوم بها اذا اصبح بصيراً. ثم في أحد الأيام، وبدون سابق إنذار، جاء إليه يسوع وغير كل شيء. تفل يسوع في التراب وجبل من التُفْل طيناً وطلى به عيني هذا الإنسان، وقال له ان يذهب ويغتسل في بركة سلوام (٩: ٦). واستمر يوحنا قائلاً: « فمضى واغتسل وأتى بصيراً » (٩: ٧). قد تمت استجابة أعظم صلاة للرجل الأعمى! لم يكن يدري بان هذا قد يكون بداية أصعب يوم في حياته.

يروي نص هذا الدرس(٩: ٦-٤١) قصة إنسان في طريق الإيمان. بدأ يسوع بالقصة وعاد في النهاية ليعطيها التوجيه الأخير والتفسير، تتركز القصة بطريقة أساسية على الإنسان الذي كان أعمى ورحلته باتجاه الإيمان بيسوع. هذا النص مملوء بعبارات هذا الإنسان التي ان دلت على شيء فقد دلت على استمرار نموه في الإيمان.

« إني أنا هو » (٩: ٦-٩)

حالما شفى هذا الإنسان من العمى، بدأ

جيرانه يناقشون هذا الحدث الذي لا يُصدق. سأل البعض: «أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي» (٩: ٨). أجاب البعض: «هذا هو»، بينما قال آخرون: «إنه يشبهه» (٩: ٩). اصبحت مناقشتهم هذه كحديث الأسرة عن احد الأقرباء بالمستشفى – الحديث عن المريض في حضوره وكأنه في غيابه! «كيف اصبح الآن؟» «أظن بان حالته قد تحسنت قليلاً اليوم». «آه، أني غير متأكد من هذا، انه لا يبدو على ما يرام». «ماذا قال الطبيب؟» «أتظن بانه سيعيش؟»

أخيراً تكلم الإنسان الذي تم شفاءه وقال بنفسه: «إني أنا هو» (٩: ٩). لم يسمح للناس بتجاهله. مع انه كان أعمى يستعطي لسنين عديدة، إلا انه كان خبيراً في أشياء الحياة قليلا، وكان خبير في نفسه! كان متأكداً بانه كان أعمى وأما الآن فيبصر فعبر بثقة عما كان يعرف انه حقيقة: «أنا هو ذلك الإنسان!»

قد تبدأ رحلة الإيمان لكل منا بمعرفة أنفسنا اولا. أنت الوحيد الذي تعرف نفسك جيداً. ويمكن ان تعرف بانك شخص ونفساً حيةً. قد يتكلم العلماء بشيء عنك، وقد يخبرك المسؤول عنك في العمل عن احد صفاتك، وتخبرك أسرتك أيضاً عن اشياء اخرى عنك. ومع ذلك أنت الوحيد الذي تعرف شخصك، انك حي، وانك كائن روحي، وبانك تسعى وراء شيء ما لم تنله بالكامل بعد. «إني أنا هو!» هكذا نقول عندما نبدأ في طريق الإيمان.

«يسوع صنع طيناً» (٩: ١٠-١٢)

ان قول الرجل بانه الأعمى المستعطي الذي كان قد شوهد بجوار الهيكل، لم يصحح الارتباك الذي بدأته المعجزة. لم يحل اللغز كما كانوا يتفكرون به. لم يروا معجزات مثل هذه تحدث كل يوم. فسألوا كيف حدث مثل هذه الشيء العجيب. حكى لهم القصة بطريقة مبسطة ومباشرة: «إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينيّ وقال لي: اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ» (٩:١١).

هذا الإنسان الذي لم يكن له مكاناً في المجتمع ولا مال أظهر بانه كان أعظم خبير في العالم في مواضيع معينة. كان متأكداً عما كان هو، وما اختبر. بهذه الطريقة نفسها يكون الذين هم في رحلة الإيمان خبراء في حياتهم. قد يقول البعض: «كنت قاسيا قبل معرفتي بيسوع». وقد يقول آخرون: «كنت خارجا عن السيطرة (أو في يأس أو سكر) قبل ان ينقذني يسوع». يمكن ان تتكلم بكل ثقة عن هذه الأمور لأنك سلطان نفسك الوحيد وبالاخص بما فعل يسوع في حياتك. لا أحد يستطيع أن ينزع منك هذا!

«إنه نبي» (٩: ١٣-١٧)

الناس الذين كانوا يعرفون الإنسان الذي وُلِدَ أعمى لم يفهموا ماذاحدث له بالضبط، فأتوا بخَبرائهم الروحيون، أي الفريسيين. كان اليوم الذي شفى فيه يسوع هذا الإنسان هو يوم السبت، اليوم المقدس للراحة عند اليهود. وقد خلق لهم ذلك صعوبة عظيمة. وإذ كانوا يشكون في أي شفاء في السبت طلبوا من الذي كان أعمى ان يروي القصة مرة أخرى. وعندما فعل، استخلصوا بان «هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت» (٩: ١٦). ربما هذا قد انهى الأمر في فكر الفريسيين الذين كانوا يعتبرون الشفاء عملاً ملفتاً للنظر. ولكن الناس الذين كانوا يعرفون ذلك الإنسان، وجدوا ان إجابة الفريسيون كانت تنقصها الدقة كثيرا. وتعجبوا كيف يمكن لأي شخص ان يجري هذه المعجزة الرائعة إن لم يكن من الله.

وبينما كان الناس يواصلون مناقشة الأمر حدث «بينهم انشقاق» (٩: ١٦). نرى من خلال إنجيل يوحنا ان يسوع يدفع الناس دائماً نحو اتخاذ موقف واضح ومحدد تجاهه. لم يكتفي بان يسمح للناس ان يتغاضوا عنه، أصر يسوع على انه يجب عليهم أن يضعوا في الاعتبار الدليل ويقرروا ما إذا كان هو من الله أم من الشيطان. لم يكن هناك حل وسط كما كان الأمر يتعلق بيسوع ويوحنا {كاتب هذا الإنجيل}.

وبسبب الاحباط رجع الناس مرة أخرى للإنسان الذي كان أعمى منذ ولادته وسألوه عن رأيه في الأمر. وأعطى رأيه مرةأخرى توحي

بالسير بقوة عظيمة تجاه الإيمان، فقال: «إنه نبي» (٩: ١٧). عندما نطق الذي كان أعمى بهذا وضع تأكيداً ليس على نفسه، بل على الإنسان الذي شفاه. فقد استخلص بان هذا الإنسان الذي شفاه قد نال قوته من الله. مهما قال الفريسيون عن يسوع انه شريراً، إلا ان الإنسان الذي كان أعمى منذ ولادته كان مقتنعاً بان يسوع كان إنساناً صالحاً وبان قوته كانت من الله.

«أعلم شيئاً واحداً» (٩: ١٨-٢٥)

أدت كل عبارة قالها الإنسان الذي كان أعمى منذ ولادته إلى مزيد من التوتر. قد رفض الفريسيون تماماً فكرته بان يسوع كان نبياً من الله. وشكك آخرون في انه ليس الذي كان يجلس ويستعطي. فاستدعوا أبويه وسألوهما قائلين: «أهذا ابنكما الذي تقولان انه ولد أعمى؟ فكيف يبصر الآن؟» (٩: ١٩). فارتعد أبوي هذا الإنسان. لم يطلبا تسليط الأضواء عليهما، كانا خائفين من الحالة كلها. وقد سمعا أيضاً بان كل من يقول شيئاً إيجابياً عن يسوع يُطرد من المجمع (٩: ٢٢). إذ كانا خائفان بانهما سيفقدان اصحابهما واسرتهما وحياتهما تركت هذه الأم وهذا الأب (اللذين تركا ابنهما منذ وقت طويل يعيش حياة الاستعطاء) مرة أخرى في نزاع. «هو كامل السن، اسألوه فهو يتكلم عن نفسه» هكذا قالا (٩: ٢١). كان يجب ان يكون هذا اسعد يوم في حياتهما لأن ابنهما قد نال نعمة البصر. ولكن عوضاً عن ذلك كان ذلك يوم خوف وعار.

تحوّل السائلون إلى ذلك الإنسان مرة أخرى وطلبوا منه أن يفسر كيف ابصر. طالبوه قائلين: «أعط مجد لله» (٩: ٢٤). لم تكن لهذا التعبير علاقة بعبادة الله أو تسبيحه، بل كانت هذه طريقة اليهود للقول «قل الحق!». تلك كانت الطريقة التي يتكلم بها الشخص إلى المجرم الذي لم يعترف بعد بالجريمة التي ارتكبها. تشير كلماتهم هذه إلى يأس مستمر، وغضب، وعدم احتمال للإنسان الذي كان أعمى منذ ولادته.

كما رأينا سابقاً، عندما أجاب هذا الإنسان الذين كانوا يسألونه فقد فعل ذلك بهدوء وثقة ثابتة. قال لهم: «أخاطيء هو، لستُ أعلم. إنما أعلم شيئاً واحداً: أني كنت أعمى والآن أبصر» (٩: ٢٥). لم يكن هذا الإنسان قادراً على مناقشة الكثير من المواضيع الدينية. وعندما تم تهديده رجع إلى الحقائق الاساسية: «إنما أعلم شيئاً واحداً».

هو من الله (٩: ٢٦-٣٤)

بدأ الفريسيون وهم مثبطو العزم بسبب الإنسان الذي كان قد وُلِد أعمى عملية التحري من جديد (٩: ٢٦). وسَيلتهم هذه تذكرني بإجراءات مكافحة الارهاب التي شاهدتها قبل سنوات قليلة في احدى رحلاتي خارج البلاد. أخذ العاملون بالخطوط الجوية الركاب جانباً كل على حده وطرحوا عليهم مجموعة من الأسئلة. وبعد عدة دقائق أتى موظف آخر وطرح علينا نفس الأسئلة. وأخيراً جاء عامل ثالث وكرر الأسئلة نفسها مرة أخرى! وبعد فترة وجيزة رأينا الموظفين الثلاثة يقفون معاً يقارنون ما كتبوه ليروا ما إذا كنا قد أعطينا الإجابة نفسها لكل منهم. ربما كان للإنسان الذي كان قد ولد أعمى الشعور نفسه الذي انتابنا في رحلة ذلك اليوم.

عندما طرح على هذا الإنسان السؤال نفسه اكثر من مرة، بدأ يتكلم بشيء من السخرية. سأل قادة اليهود ما إذا كان سؤالهم له مرة أخرى هو بسبب انهم معجبون بيسوع ويريدون ان يكونوا تلاميذه (٩: ٢٧). لقد غضبوا بكل تأكيد. وعند الحديث اليهم للمرة الأخيرة، أشار الإنسان الذي كان قد ولد أعمى إلى التناقض في افكار بعض المفكرين المتألقين والأكثر تدريباً في كل إسرائيل. قال بانه لم يُسمع قط ان أحداً فتح عيني مولود أعمى. كانت تلك بالحقيقة معجزة. وكانت المعجزة حقاً من عمل الله، ومع ذلك لم تكن للفريسيين الذين كانوا يظنون بانهم قريبين من الله أية فكرة من أين كان يسوع أو ما قد عمله. كانت خلاصة هذا الإنسان الجريئة هي انه إن لم يكن يسوع من الله لما استطاع ان يفعل مثل هذا الشيء، أي

لقد قال ما بمضمونه: « هو من الله » (٩: ٣٣).

عندما أحرج الفريسيين من قبل الإنسان الذي كان قد ولد أعمى، أمطروا وابلاً من التهم عليه. كيف تجرأ بان يوجههم؟ لم يكن يعرف الناموس، ولم يمكن الوثوق فيه بان يفكر كمن هو مسؤول. هذا بالإضافة إلى انهم قالوا انه وُلِدَ في الخطايا. (تذكر سؤال التلاميذ عن الخطيئة والمأساة في آية ٢). عندما أنهوا كلامهم العنيف له، « ... أخرجوه خارجاً » (٩: ٣٤). ربما كانوا قد فعلوا به ما كان يخشى ابواه ان يحدث لهما؛ أي طردوه من المجمع.

تذكرنا الخبرة التي مرة بها الإنسان الذي كان قد وُلِدَ أعمى بان الإيمان بيسوع قد يعقد حياتنا أحَياناً. من الذي قال بان يسوع يجعل الحياة دائماً سهلة؟ لا يمكن للنور والظلمة ان يلتقيا معاً. الإيمان لا يجعل الأسر دائماً أكثر امنا، بل يخلق الصعوبات أكثر. الإيمان لا يجعل الزواج دائماً هنيئاً ومسالما؛ بل يكون احياناً مصدر خلاف كبير. الإيمان لا يجعل الأمور سهلة دائماً في مكان العمل؛ بل قد يؤدي احياناً إلى ايقاف العامل عن عمله. قال يسوع ذات مرة:

> أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا أقول لكم، بل انقساماً. لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلثة على اثنين واثنان على ثلثة. ينقسم الأب على الابن والابن على الأب. والأم على البنت والبنت على الأم. والحماة على كنتها والكنة على حماتها (لوقا ١٢: ٥١-٥٣).

بسبب كل المشاكل التي قد يجلبها الإيمان احياناً نفكر باتراجع عنه، رأى الإنسان الذي كان قد ولد أعمى النور (بطرق كثيرة)، وكما يتعلق الأمر به لم يكن هناك رجوع. كان متأكداً عما يؤمن به، ولم يكن هناك أحد يهدده حتى لا يؤمن بما كان يعرف انه حق.

« أُومن » (٩: ٣٥-٤١)

لقد حدث الكثير لهذا الإنسان وبسرعة! اصبح ذلك اليوم أعظم يوم في حياته: يوماً مليئاً بالمشاكل ومكلفاً أيضاً. لقد أعيد له البصر، ولكنه أُخرج خارج الهيكل. واستطاع أخيراً ان ينظر إلى وجوه من حوله ولكن المشكلة ان الوجوه الوحيدة التي رأها كانت وجوه يسودها الغضب والارتباك، لم يكن له مكاناً في مجتمعه لأن العامةالتي اشتهى منذ وقت طويل ان يكون جزءاً منها قد أستهزأت به وأدانته. بينما كان يفكر بهذا المأزق، صافحه شخص كان قد تعرف الى صوته من قبل، ولكنه لم يرى وجهه أبداً – كان ذلك الشخص هو يسوع!

سأله يسوع إذا كان يؤمن بابن الإنسان. وإذ كان مرتبكاً بهذا السؤال وواثقاً في الذي طرح السؤال، قال هذا الإنسان: « من هو يا سيد حتى أومن به؟ » (٩: ٣٦). قال له يسوع بانه هو. ولما سمع هذا الإنسان الذي كان قد ولد أعمى اعترف وقال: « أومن يا سيد وسجد له » (٩: ٣٨). لقد وصلت رحله هذا الإنسان نحو الإيمان قمتها ويستطيع أن يقول الآن « أني أومن ».

لاحظ التطور في إيمان هذا الإنسان عند تقدم القصة. لقد انتقل من القول: « إني أنا هو » إلى « يسوع صنع طيناً » إلى « إنه نبي » إلى « أعلم شيئاً واحداً » إلى « هذا من الله » إلى « أُومن ». كانت كل من هذه العبارات خطوة حريصة مبنية على ما كان قد افتهمه في ذلك الزمان. انه لم « يقفز قفزة الإيمان » إلى مكان مجهول، بل خطى خطوة ثابتة في رحلة نحو الإيمان.

الخلاصة

قال يسوع لتلاميذه: « ... أنا هو نور العالم» (٩: ٥). عالمنا مغطى بظلام الخطيئة الكثيف. وهذا الظلام لا يقدر ان يحتمل النور لأن الاثنين في تضارب مع بعضهما. إذا كنت تابع للنور تجد نفسك في حرب ضارية مع قوات الظلام. يمكنك ان تقاومها، ويمكنك ان تتمسك بأفضل ما تعرفه عن نفسك، وعن الحياة، وعن يسوع.

لم يتصور الإنسان الذي كان قد وُلِدَ أعمى النزاع الذي كان سيواجهه في يوم شفاءه، ولكني أظن بانه لو كان قد عرف كل ما يكون له من مشاكل بسبب بصره، لكان قد اختار البصر عوضاً عن العمى. يسوع هو حقاً « نور العالم». الدعوة اليوم هي ان تأتي إلى النور!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧